قوله تعالى:
{إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ}
دراسة عقدية

د. عبد الهادي بن عوض العمري (*)

المقدمة :

"الحمد لله الذي جعل في كلِّ زمانِ فترةٍ من الرُّسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنوره أهل العمى"(١).

والصلاة والسلام على إمام المتقين وقائد الغرِّ المحجلين نبي الرحمةٌ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ مما اتفقت عليه الأمَّة نزول عيسى ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان حكمًا عدلًا مقسطًا، وأن الله تعالى رفعه إلى السماء حين حاول اليهود قتله وصلبه.

وهذا البحث مرتبط بجانبٍ من جوانب حياة عيسى ابن مريم عليه السلام، وهو حقيقة وفاته الواردة في قوله تعالى: **{إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ}** [آل عمران: ٥٥]، وذلك من خلال الآيات القرآنية الأخرى، وكلام النبي صلّى الله عليه وسلّم، وكلام أهل العلم، والرَّد على المخالفين في ذلك، وعنونته بـ:

قوله تعالى: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} دراسة عقدية.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى بيان قول أهل السنة والجماعة في معنى وفاة عيسى عليه السلام والاستدلال لذلك، والرد على المخالفين.

(*) من منسوبي وزارة التعليم بالمملكة العربية السعودية، إدارة تعليم المدينة النبوية.
(١) خطبة الإمام أحمد في كتابه (الرد على الزنادقة)، ص٦.

الدراسات السابقة:

لم أقف حسب علمي على من أفرد هذه الآية ببحث عقدي.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة، وفيها: أهمية الموضوع، وأسباب بحثه، وخطة البحث، والمنهج، والهدف.

أما المباحث فهي على النحو الآتى:

-**المبحث الأول:** معنى وفاة عيسى عليه السلام عند أهل السنة والجماعة.

-**المبحث الثالث:** أدلة حياة عيسى عليه السلام.

-**المبحث الثالث:** القائلون بموت عيسى عليه السلام في الدنيا والرَّد عليهم.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

منهج البحث:

سلكتُ في هذا البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي النقدي، والمنهج المقارن، وأما إجراءات البحث فهي كالآتى.

١- عزو الآيات القرآنية إلى أماكنها بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢- تخريج الآحاديث بذكر الجزء والصفحة ورقم الحديث؛ فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليهما، وإن كان في غيرهما خرَّجته من كتب السُّنَّة الأخرى مع الحكم عليه من كتب أهل العلم.

٣- اكتفيت بذكر سنة وفاة الأعلام في متن البحث.

٤- عرَّفت بالمدن والكلمات الغريبة.

٥- علقت على ما يحتاج إلى تعليق.

٦- عرَّفت بالفرق والمذاهب.

المبحث الأول

معنى وفاة عيسى عليه السلام عند أهل السنة والجماعة

اتفق أهل السُّنة والجماعة على أن عيسى عليه السلام لم يمت، ثم اختلفوا في معنى (الوفاة) المذكورة في هذه الآية على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنها وفاة نوم.

ومعنى الآية على هذا القول: إني منيمك ورافعك في نومك(١).

واختاره ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) رحمه الله، واستشهد بقول الله تعالى: **{وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ}** [الأنعام: ٦٠]، وقوله تعالى: **{اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا}** [الزمر: ٤٢]، وبقول النبي صلّى الله عليه وسلّم إذا قام من النوم قال: "الحمد الله الذي أحيانا بعد ما أماتنا"(٢) (٣).

القول الثاني: أن معناها القبض.

ومعنى الآية على هذا القول: إني قابضك من الأرض، فرافعك إليَّ، يقال: "توفيتُ من فلان ما لي عليه"، بمعنى: قبضته واستوفيته، قالوا: فمعنى قوله: "إنِّي متوفيك ورافعك"، أي: قابضك من الأرض حيًّا إلى جواري، وآخذك إلى ما عندي بغير موت، ورافعك من بين المشركين وأهل الكفر بك(٤).

واختاره الطبري، فقال: "وأولى هذه الأقوال بالصحَّة عندنا قول من قال: معنى ذلك: إنِّي قابضك من الأرض ورافعك إليَّ؛ لتواتر الأخبار عن رسول الله صلّى

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٦/٤٥٥.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام، ٤/١٥٥، رقم ٦٣٢١.

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير، ١/٣٦١، والبداية والنهاية، ذكر رفع عيسى عليه السلام، ٢/٥٠٧.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، ٦/٤٥٥.

الله عليه وسلّم أنَّه قال: «ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال»(١)، ثم يمكث في الأرض مدَّةً ذكرها اختلفت الرواية في مبلغها، ثم يموت، فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه"(٢).

القول الثالث: أنها وفاة آخر الزمان

يقول القرطبي (ت٦٧١هـ) رحمه الله: "وقال جماعةٌ من أهل المعاني – منهم الضحَّاك والفرَّاء– في قول الله تعالى: **{إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ}** هو على التقديم والتأخير؛ لأن الواو لا توجبُ الترتيب، والمعنى: إني رافعك إليَّ، ومطهِّرك من الذين كفروا، ومتوفِّيك بعد تنزيلك من السَّماء، كقول الله تعالى: **{وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى}** [طه: ١٢٩]، والصحيح أنَّ الله تعالى رفعه إلى السماء من غير وفاة ولا نوم"(٣).

قال الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) رحمه الله: "وإنما احتاج المفسِّرون إلى تأويل الوفاة بما ذكر؛ لأنَّ الصحيح أنَّ الله رفعه إلى السَّماء من غير وفاة، كما رجَّحه كثيرٌ من المفسِّرين، واختاره ابن جرير الطبري، ووجه ذلك أنه قد صحَّ في الأخبار عن النبي صلّى الله عليه وسلّم نزوله وقتله الدجَّال"(٤).

**

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير، ٧/٢٢١، برقم ٦٩١٩، وفي الأوسط ٥/٢٧، برقم ٤٥٨٠، وقال الهيثمي: رجاله ثقات وفي بعضهم ضعف لا يضر، ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٧/٣٣٥٠.

(٢) جامع البيان، ٥/٤٥٠.

(٣) تفسير القرطبي، ٥/١٥٢– ١٥٣.

(٤) فتح القدير، ١/٣٩٥.

المبحث الثاني

أدلة حياة عيسى عليه السلام

دل الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة على حياة عيسى عليه السلام وأنه رُفع إلى السماء، وسينزل حيًّا إلى الأرض.

أ- الأدلة من القرآن:

قال تعالى: **{وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِين}** [آل عمران: ٤٦].

وقال تعالى: **{إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً}** [المائدة: ١١٠].

روى ابن جرير(ت ٣١٠هـ) رحمه الله عند تفسير الآية الأولى، فقال: "حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب قال سمعته يقول: قد كلَّمهم عيسى في المهد، وسيكلِّمهم إذا قتل الدجَّال وهو يومئذٍ كهل، وقال أيضًا: رفعه الله قبل أن يكون كهلًا، وينزل كهلًا[(١)].

وقال الحسين بن الفضل البجلي (ت٢٨٢هـ) رحمه الله: إن المراد بقوله: **{وَكَهْلاً}** أن يكون كهلًا بعد أن ينزل من السماء في آخر الزمان ويكلِّم الناس ويقتل الدجَّال .

وقال إمام النحو أحمد بن يحيى الشيباني (ت ٢٩١هـ): "ذكر الله جلَّ وعزَّ لعيسى آيتين:

إحداهما: تكليمه الناس في المهد، فهذه معجزة، والأخرى: نزوله إلى الأرض عند اقتراب الساعة كهلًا ابن ثلاثين سنة يكلِّم أمة محمد، فهذه الآية الثانية"[(٢)].

وقال تعالى: **{وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ}** [الزخرف: ٦١]، أي: أن نزول عيسى عليه السلام قبل القيامة علامة على قرب الساعة، ويدلُّ على هذا: القراءة الأخرى

---

(١) جامع البيان، ٦/٤٢٠، ٤٥٧.

(٢) تهذيب اللغة، ٦/١٤.

(وإنه لَعَلَمٌ للساعة)، بفتح العين واللام[١]، أي خروجه علمٌ من أعلام الساعة وشرطٌ من شروطها وأمارةٌ على قرب قيامها، وروى الإمام أحمد (ت ٢٤١هـ) والحاكم (ت ٤٠٥هـ) عن ابن عباس رضيَ الله عنهما في تفسير هذه الآية **{وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ}** قال: هو خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة[٢].

وقال تعالى: **{وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا}** [النساء: ١٥٩].

أخرج ابن جرير في تفسيره عن الحسن في قوله: **{وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ}**، قال: قبل موت عيسى عليه السلام، والله إنّه الآن لحيّ عند الله، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون"[٣].

وروى أبو بكر الآجري (ت ٣٦٠هـ) رحمه الله عن ابن عباس رضيَ الله عنهما في هذه الآية قال: "يعني أنه سيدركه أناسٌ من أهل الكتاب حين يبعث عيسى فيؤمنون به"[٤].

ومدلول الآية، أنه باق حيٌّ، وأنَّه سينزل قبل يوم القيامة[٥]، وهذه الآية صريحةٌ بأنَّ عيسى عليه السلام حيٌّ وأنه سينزل آخر الزمان[٦].

وقال ابن عطية: (ت ٥٤٢هـ) رحمه الله: "أجمعت الأُمَّة على ما تضمَّنه الحديث المتواتر من أنَّ عيسى عليه السلام في السماء حيٌّ، وأنه ينزل في آخر الزمان ..."[٧].

---

(١) المبهج في القراءات الثمان وقراءة الأعمش وابن محُيصن، ٨٢٧/٢ ، بستان الهداة في اختلاف الأئمة والرُّواة في القراءات ، ٤٧٦/٢ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٤ /٣٢٩ حديث رقم ٢٩٢١، وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح، وفي مستدرك الحاكم، ٢٥٤/٢، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) تفسير الطبري، ٩/ ٣٧٩.

(٤) كتاب الشريعة، ١٣٢٥/٣.

(٥) تفسير ابن كثير، ٤٥٤/٢.

(٦) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ٢٨٨/٧.

(٧) المحرر الوجيز، ٤٤٤/١.

وممن حكى الإجماع على حياة عيسى عليه السلام: العز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ) قال :"والإجماع منعقد على أنه لم يرفع ميتاً ، بل أجمعوا على أنه رُفع حيًّا"(١).

وقال القرطبي (ت ٦٧١هـ) رحمه الله: "نقول أَنه رُفع من غير صلب وإهانة بل صانه الله عزَّ وجل من أَن يظفر بِهِ عدو وأكرمه حَتَّى أحله مَكَانا عليا"(٢).

ويقول أيضًا: "قال جماعة من أهل المعاني- منهم الضحَّاك (ت ١٠٥هـ)، والفرَّاء (ت ٢٠٧هـ) في قول الله تعالى: **{إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ}** هو على التقديم والتأخير؛ لأن الواو لا توجبُ الترتيب، والمعنى: إنِّي رافعك إليَّ، ومطهِّرك من الذين كفروا، ومتوفِّيك بعد تنزيلك من السماء، كقول الله تعالى: **{وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى}** [طه: ١٢٩]، والصحيح أنَّ الله تعالى رفعه إلى السماء من غير وفاةٍ ولا نوم"(٣).

ب- الأدلة من السُّنَّة على حياة عيسى عليه السلام:

لا ريب بأنَّ تواتر الأحاديث عن النبي محمد صلّى الله عليه وسلّم بالإخبار بنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان حَكَمًا عدلًا هي أدلةٌ قاطعةٌ على بقاء حياته إلى آخر الزمان، ومن هذه الأحاديث:

١- عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضيَ الله عنه قال: «طلع النبي صلّى الله عليه وسلّم علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذاكرون؟» قالوا: نذكر الساعة، قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات»، فذكر الدخان والدجَّال والدابَّة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ويأجوج

(١) فوائد في مشكل القرآن، ص١٠٥ .

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، ص٤٢٤.

(٣) تفسير القرطبي، ٥/١٥٢-١٥٣، حاشية البجيرمي على شرح منهج الطلاب، المسمى بالتجريد لنفع العبيد، ٢/١٤٦.

ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»[١].

٢- وعن أبي هريرة رضيَ الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «والذي نفسي بيده ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، لا يقبلها من كافر، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها»[٢].

٣- وعن جابر رضيَ الله عنه: قال: سمعت النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول: «لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة»، قال: «فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا، فيقول: لا، إنَّ بعضكم على بعضٍ أمراء، تكرمةً [من] الله لهذه الأمة»[٣].

وما سبق من ذكر آيات وأحاديث صحيحة ثابتة عن رسول الله تدلُّ دلالةً واضحةً على نزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء إلى الأرض عند قرب الساعة، ولا ينكر حياته ونزوله إلا ضالٌّ مضلٌّ معاندٌ للشرع مخالفٌ لكتاب الله وسُنَّة رسوله واتفاق أهل السُّنَّة[٤].

ج- أقوال ثلة من العلماء بحياة عيسى عليه السلام:

قال مجاهد بن جبر المكي (ت ١٠٤هـ) رحمه الله في قول الله تعالى **{وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ}** [النساء:

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، ٢٢٢٥/٤، ٢٢٢٦، رقم: ٧٤٦٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، ٤ / ١٤٣، باب قتل الخنزير، رقم ٢١٠٩.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب نزول عيسى عليه السلام ابن مريم حاكمًا، ١٣٧/١، رقم ٤١٢.

(٤) ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، ٢١٣/١١.

١٥٧]: "صلبوا رجلًا غير عيسى، شبَّهوه بعيسى يحسبونه إياه ورفع الله إليه عيسى"[١].

وسُئل ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) رحمه الله: "هل أهل الجنَّة يأكلون ويشربون وينكحون بتلذذٍ كالدنيا؟ وهل تُبعث هذه الأجسام بعينها؟ وهل عيسى حيٌّ أم ميت؟ وهل إذا نزل يحكم بشريعة محمد صلّى الله عليه وسلّم أم بشريعته الأولى أم تحدث له شريعة؟

فأجاب: أمَّا أهل الجنة فيأكلون ويشربون وينكحون متنعمين بذلك بإجماع المسلمين كما نطق به الكتاب والسُّنَّة وإنما ينكر ذلك من ينكره من اليهود والنصارى، وهذه الأجساد هي التي تُبعث كما نطق به الكتاب والسُّنَّة، وعيسى حيٌّ في السماء لم يَمُت بعد، وإذا نزل من السَّماء لم يَحكم إلا بالكتاب والسُّنَّة؛ لا بشيءٍ يخالف ذلك، والله أعلم"[٢].

وقال في موضعٍ آخر: "بيان أنَّ الله عزَّ وجل رفعه حيًّا وسلَّمه من القتل، وبين أنهم يؤمنون به قبل أن يموت، ولفظ التوفي في لغة العرب معناه: الاستيفاء والقبض، وذلك ثلاثة أنواع: أحدها: توفي النوم، والثاني: توفي الموت، والثالث: توفي الروح والبدن جميعًا، فإنه بذلك خرج عن حال أهل الأرض الذين يحتاجون إلى الأكل والشرب واللباس والنوم، ويخرج منهم الغائط والبول، والمسيح عليه السلام توفَّاه الله وهو في السماء الثانية إلى أن ينزل إلى الأرض، ليست حاله كحالة أهل الأرض في الأكل والشرب واللباس والنوم، والغائط والبول ... فالمتوفى هو المرفوع إلى الله، وبهذا يبطل كذب اليهود بأنهم قتلوه"[٣].

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٧٢٨/٢.

(٢) مجموع الفتاوى، ٣١٦/٤.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، ٣٨/٤ ، بيان تلبيس الجهمية في بدعهم الكلامية، ١٧٧/٢.

ويقول ابن القيم (ت ٧٥١هـ) رحمه الله: "بل رفعه إليه مؤيدًا منصورًا لم يشُكْهُ أعداؤه بشوكةٍ، ولا نالته أيديهم بأذى، فرفعه إليه وأسكنه سماءه، وسيُعيده إلى الأرض ينتقم به من مسيح الضَّلال[1] وأتباعه، ثم يكسر الصَّليب، ويقتل به الخنزير، ويُعلي به الإسلام، ويَنصُر به ملَّة أخيه وأولى الناس به محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام"[2].

وقال أيضًا عند قول الله تعالى: **{إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}** [آل عمران: ٥٥]:

"وهذه بشارةٌ بأنَّ المسلمين لا يزالون فوق النَّصارى إلى يوم القيامة؛ فإنَّ المسلمين هم أتباعُ المرسلين في الحقيقة، وأتباعُ جميع الأنبياء، لا أعداؤه، وأعداؤه عُبَّاد الصَّليب الذين رضُوا أنْ يكون إلهًا مصفوعًا مصلوبًا مقتولًا، ولم يَرْضوا أن يكون نبيًّا عبدًا لله وجيهًا عنده مقرَّبًا لديه، فهؤلاء أعداؤه حقًّا والمسلمون أتباعه حقًّا"[3].

وقال أيضًا: "كان الله سبحانه قد بشَّر بالمسيح على ألسنة أنبيائه من لدن موسى إلى زمن داود ومن بعده من الأنبياء، وأكثر الأنبياء تبشيرًا به داود، وكانت اليهود تنتظره وتصدِّق به قبل مبعثه، فلما بعث كفروا به بغيًا وحسدًا، وشردوه في البلاد وطردوه وحبسوه وهَمُّوا بقتله مرارًا إلى أن أجمعوا على القبض عليه وعلى قتله فصانه الله وأنقذه من أيديهم ولم يهنه بأيديهم وشُبِّه لهم بأنهم صلبوه ولم يصلبوه، كما قال تعالى: **{وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ**

---

(١) أي: الأعور الدجَّال، ينظر: الأحكام الشرعية الكبرى ٥٦٢/٤، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٢٣١/٣.

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم، ص٣٨٤.

(٣) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ص١٤٩.

وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء: ١٥٧-١٥٨].

وقد اختلفوا في معنى قوله: **(وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ)**، فقيل المعنى: ولكن شُبِّه للذين صلبوه، بأن أُلقي شبهه على غيره فصلبوا الشبه، وقيل المعنى: ولكن شُبِّه للنَّصارى، أي حصلت لهم الشُّبهة في أمره وليس لهم علمٌ بأنَّه ما قُتل ولا صُلب، ولكن لما قال أعداؤه: إنهم قتلوه وصلبوه واتفق رفعه من الأرض وقعت الشبهةُ في أمرهم وصدَّقهم النصارى في صلبه لتتم الشناعة عليهم.

وكيف كان، فالمسيح صلوات الله وسلامه عليه لم يُقتل ولم يُصلب يقينًا لا شكَّ فيه، ثم تفرَّق الحواريون في البلاد بعد رفعه على دينه ومنهاجه يدعون الأمم من بني إسرائيل إلى توحيد الله ودينه والإيمان بعبده ورسوله ومسيحه، فدخل كثيرٌ من الناس في دينه ما بين ظاهر ومستور: ظاهر مشهور ومختف مستور، وأعداء الله اليهود لعنهم الله في غاية الشدة والأذى لأصحابه وأتباعه"(١).

ومن الشُبه التي يثيرها بعض القساوسة أنهم يستدلون بقول الله تعالى: **{إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُون}** على أنهم أعزَّة أقوياء في كلِّ مكان.

قال الشيخ محمد تقي الدين الهلالي(ت ١٤٠٧هـ) رحمه الله: "أخبرني شابٌّ مغربيٌّ أنَّ قسيسًا في الرباط(٢) قال لمجموعة من الشباب: إذا رأيتم النصارى

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ص٣٨٦.

(٢) مدينة تقع على المحيط الأطلسي، اختُطت زمن الموحدين في القرن السادس للهجرة، وكانت تُسمَّى في السابق رباط الفتح، والآن هي عاصمة المغرب السياسية، ينظر: البداية والنهاية ١٧٢/١.

أعزَّةً أغنياء أقويا سعداء غالبين في كلِّ مكانٍ فلا تستغربوا ذلك؛ فإنَّ القرآن وعدهم ذلك، وذكر الآية السابقة، فصدَّقوه ولم يوجد أحدٌ فيهم يعرف معنى الآية.

فقلتُ له: "لقد كذبكم وخدعكم، فلو كان الأمر كما يقول لانتصر النصارى من أهل نجران، وقد كان عندهم مائة وعشرون ألف مقاتل ففضَّلوا مصالحة النبي صلّى الله عليه وسلّم ودفع الجزية، ولو كان ما يقول حقًّا ما انتصر النبي في غزوة تبوك وخافه الروم وجبِنوا عن قتاله، ولو كان ما يقوله حقًّا ما انهزم الروم البيزنطيون من بلاد الشام التي يسمُّونها سورية، وتركوها بعد ما حكموها دهرًا طويلًا، ولو كان ما يقول حقًّا ما انتصر أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على أهل مصر وكانوا نصارى، ولو كان ما يقول حقًّا ما انتصر المغاربة على أهل إسبانيا وجنوب فرنسا وحكموا أسبانيا بمشاركة العرب ثمانمائة سنة ..."(١).

ويُضاف لهذا أنَّ الآية اشترطت اتِّباع عيسى عليه السلام في منهجه الحق وتوحيده لله تعالى، والمسلمون هم الذين يتبعون عيسى عليه السلام في منهجه وتوحيده، وأمَّا النصارى فقد خالفوه وحادوا عن طريقه بإشراكهم بالله تعالى وجعلهم عيسى عليه السلام إلهًا من دونه وابتداعهم في الدين ما ليس منه.

---

(١) البراهين الإنجيلية على أن عيسى عليه السلام داخلٌ في العبودية ولا حظَّ له في الألوهية، ص١٤.

المبحث الثالث

القائلون بموت عيسى عليه السلام في الدنيا والرَّد عليهم

أنكر بعض المعتزلة(١) والجهمية(٢) ومن رأى رأيهم حياة عيسى عليه السلام، وزعموا أنَّ هذه الأحاديث المتواترة في نزوله مردودة بقول الله تعالى: **{مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}** [الأحزاب: ٤٠]، وبقول النبي صلّى الله عليه وسلّم: "لا نبي بعدي"(٣)، وبإجماع المسلمين على أنَّه لا نبيَّ بعد نبيِّنا صلّى الله عليه وسلّم وأن شريعته مؤبَّدة إلى يوم القيامة لا تُنسخ.

وهذا استدلالٌ فاسد؛ لأنَّه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام أنه ينزل نبيًّا ينسخ شرعنا، ولا في هذه الأحاديث ولا غيرها شيءٌ من هذا، بل صحَّت الأحاديث بأنه ينزل حَكَمًا مقسطًا يحكم بشرعنا، ويحيى من أمور شرعنا ما هجره الناس(٤).

وأمَّا ما جاء عن عائشة والمغيرة رضيَ الله عنهما من كراهية أن يُقال: (لا نبيَّ بعد النبي صلّى الله عليه وسلّم؛ فالمقصود منه الإشارة إلى نزول عيسى عليه

---

(١) من الفرق الكلامية التي ظهرت في عهد التابعين ، وأشهر الأقوال في سبب تسميتهم بالمعتزلة هو: اعتزال إمامهم واصل بن عطاء لحلقة الإمام الحسن البصري، ويقوم مذهب المعتزلة على الأصول الخمسة المشهورة، وهي: ١-التوحيد ويقصدون به: تعطيل الله عن صفات الكمال ، ٢-والعدل ويريدون به: نفي خلق الله عز وجل لأفعال العباد، ٣-والوعد والوعيد، ويريدون به وجوب إنفاذ الله عز وجل لوعده ووعيده، ٤- والمنزلة بين المنزلتين ويقصدون بها: أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، ٥-والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقصدون به جواز الخروج على الحاكم الشرعي. ينظر: مقالات الإسلاميين، ص١٥٥، الملل والنحل، ٤٣/١.

(٢) هم أتباع الجهم بن صفوان، مذهبهم يقوم على التعطيل في الأسماء والصفات، والجبر في القدر، وأن الإيمان هو المعرفة بالقلب، وأن الجنة والنار تفنيان بعد التنعيم والتعذيب ، والقول بخلق القرآن، ونفي رؤية الله في الآخرة. ينظر: الفرق بين الفرق ، ص١٩٤، والتنبيه والرد، للملطي ٩٦، مقالات الإسلاميين، ص١٣٢، ٢٩٧، والملل والنحل، ٨٦/١، ٨٨ .

(٣) أخرجه أبو داود، برقم ٤٢٥٢، والترمذي برقم ٢٢١٩، وأحمد في مسنده، برقم ٢٢٤٤٨.

(٤) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤٩٢/٨.

السلام في آخر الزمان؛ فعن عائشة رضيَ الله عنها قالت: قولوا خاتم النبيين، ولا تقولوا: لا نبيَّ بعده[1]، وقال رجلٌ عند المغيرة بن شعبة رضيَ الله عنه: صلى الله على محمد خاتم الأنبياء لا نبي بعده، فقال المغيرة رضيَ الله عنه: حسبك، إذا قلتَ: خاتم الأنبياء فإنَّا كنَّا نحدث أنَّ عيسى عليه السلام خارج فإن هو خرج فقد كان قبله وبعده.

وقد دلَّ على هذا قوله تعالى **{وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا}** [النساء: ١٥٩]، ودلَّ أيضًا على نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان الأحاديث المتواترة عن النبي صلّى الله عليه وسلّم.

وقال ابن قتيبة (ت ٢٧٦) رحمه الله: "قول عائشة رضيَ الله عنها: "قولوا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم خاتم الأنبياء، ولا تقولوا لا نبيَّ بعده"؛ فإنها تذهب إلى نزول عيسى عليه السلام، وليس هذا من قولها ناقضًا لقول النبي صلّى الله عليه وسلّم: "لا نبي بعدي"؛ لأنه أراد: لا نبيَّ بعدي ينسخ ما جئتُ به، كما كانت الأنبياء صلى الله عليهم وسلَّم تُبعث بالنسخ، وأرادت هي: "لا تقولوا إنَّ المسيح لا ينزل بعده"[2].

قال الخطابي (ت ٣٨٨هـ) رحمه الله: "وقوله (ويقتل الخنزير) فيه دليلٌ على وجوب قتل الخنازير وبيان أنَّ أعيانها نجسة، وذلك أنَّ عيسى صلوات الله عليه إنما يقتل الخنزير في حكم شريعة نبيِّنا محمد صلّى الله عليه وسلّم؛ لأنَّ نزوله إنما يكون في آخر الزمان وشريعة الإسلام باقية"[3].

وقال الحسن البصري (ت ١١٠هـ) رحمه الله في قوله تعالى: **{وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا}** [النساء:

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه، باب من كره أن يقول: لا نبي بعد النبي، ١٠٩/٩-١١٠، وهذا الأثر عن عائشة منقطع، وفي أثر المغيرة مجاهد بن سعيد وهو ضعيف.

(٢) تأويل مختلف الحديث، ص٢٧٢.

(٣) معالم السنن للخطابي، ٣٤٧/٤، وينظر: نزول عيسى ابن مريم آخر الزمان، للسيوطي، ص٢٨.

١٥٩]، قال: "قبل موت عيسى عليه السلام، والله إنه الآن لحيٌّ عند الله، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون"(١).

وقد وقع في إنكار هذه المسألة السمعية ممن له قدمٌ في الدفاع عن مذهب السلف في العقيدة، وأحيا وجدَّد كثيرًا مما درس من معاني الإسلام، وهو الشيخ محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) رحمه الله.

فقد قال في تفسيره لقول الله تعالى: **{إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ}** [آل عمران: ٥٥].

"أي مكر الله بهم؛ إذ قال لنبيِّه: إني متوفيك إلخ، فإنَّ هذه بشارة بإنجائه من مكرهم وجعل كيدهم في نحرهم قد تحققت، ولم ينالوا منه ما كانوا يريدون بالمكر والحيلة"(٢).

وردَّ الشيخ خليل هراس (ت ١٩٧٥م) رحمه الله على تفسيره بقوله: "ومعنى هذ ا أنَّ مكر الله عزَّ وجل باليهود في نظره لم يكن مصداقه إلا بشارته لعيسى عليه السلام بأنه هو الذي ينفذ فيه ما أراده اليهود من موته دون أن يمكنهم هم من قتله، ثم يرفع روحه إليه كما يرفع إليه سائر أرواح المؤمنين، فأيُّ بشارةٍ هذه؟ وأي مكرٍ هذا؟ ولماذا ضنَّ الله على عيسى بمنصب الشهادة الذي سبقه إليه كثيرٌ من أنبياء بني إسرائيل، ورضي له أن يموت حتف أنفه! ألا فليهنأ اليهود أنَّ الله أراحهم من عيسى عليه السلام، وعجَّل لهم الخلاص منه ومن دعوته، وهذا كلُّ ما يريدون، وما فائدة الإخبار برفعه إليه إذا هو أمر معلوم يحصل لكلِّ مؤمن"(٣).

وعندما ذكر الشيخ محمد رشيد رضا معنى التوفِّي في اللغة نجد أنه ذكر معنىً واحدًا فقط.

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره، ٩/٣٨٠.

(٢) تفسير المنار، ٣/٢٦٠.

(٣) فصل المقال في نزول عيسى عليه السلام وقتله، ص٥٣.

فقال: "والتوفي في اللغة: أخذ الشيء وافيًا تامًّا، ومن ثم استعمل بمعنى الإماتة، قال تعالى: **{اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا}** [الزمر: ٤٢]، وقال: **{قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُون}** [السجدة: ١١] فالمتبادر من الآية: إنِّي مميتك وجاعلك بعد الموت في مكانٍ رفيعٍ عندي"[١].

ولقد أهمل بقية معاني التوفي في اللغة، فلم يذكر منها إلا معنى الإماتة؛ واقتصر في استشهاده بالآيات الدالة على ما يفيد هذا المعنى، مع أنَّ في الآية الأولى التي استشهد بها ذكر التوفي بمعنى الإماتة، قال تعالى: **{وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا}** [الزمر: ٤٢]، وهناك آيةٌ أخرى لم يرد التوفي فيها إلا بمعنى النوم وحده، وهو قول الله تعالى: **{وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون}** [الأنعام: ٦٠].

وليس المتبادر من لفظ التوفي هنا الإماتة إلا إذا قطعناه عما قبله وعما بعده، أما إذا فهم في سياق الكلام فإنه يبعد جدًا أن يراد منه هذا المعنى؛ لأنه لا يتسق مع مكر الله باليهود المقابل لمكرهم بعيسى ولا مع رفعه عيسى إليه وتطهيره من الذين كفروا؛ لأن مكر الله باليهود يجب أن يكون أمرًا مخالفًا لما قصدوه، وليس في موته ما يخالف مقصودهم؛ لأنهم يريدون التخلص منه ومن دعوته، وكذلك رفعه إليه لا يجوز أن يكون رفع الروح أو المكانة، فإن ذلك أمرٌ معلوم، وهو أيضًا عامٌّ لجميع الأنبياء، بل لجميع المؤمنين، فلا يصح أن يكون هو مضمون البشارة، بل يجب أن يكون المراد رفعه كله، كما تفيده كاف الخطاب في قوله تعالى **{وَرَافِعُكَ}** [آل عمرآن: ٥٥]، فإنَّ مرجعها هو شخص عيسى لا روحه، وإلا لقال: ورافع روحك إليَّ، وإذا تبيَّن أن معنى رفعه إليه هو ضمُّه وإيواؤه إليه فلا بدَّ أن يكون رفعه حيًّا؛ إذ لا يعقل أن يرفعه ميتًا[٢].

---

(١) تفسير المنار، ٣/٢٦٠.

(٢) ينظر: فصل المقال، ص٥٤-٥٥.

وفسَّر الشيخ محمد رشيد رضا تطهيره من الذين كفروا بقوله: "فهو: إنجاؤه مما كانوا يرمونه به أو يرومونه منه ويريدونه به من الشر، هذا ما يفهمه القارئ الخالي الذهن من الروايات والأقوال؛ لأنه هو المتبادر من العبارة وقد أيدناه بالشواهد من الآيات، ولكن المفسِّرين قد حوَّلوا الكلام عن ظاهره لينطبق على ما أعطتهم الروايات من كون عيسى رفع إلى السماء بجسده"(١).

وهذا القول مردودٌ عليه؛ لأن تطهيره من الذين كفروا يكون بتخليصه من أيديهم وإفساد مكرهم عليهم؛ وذلك لا يكون بموته ودفنه في الأرض، بل برفعه حيًّا إلى السماء؛ لأن الأعداء يستطيعون أن يخرجوا جثته ويمثلوا به، كما فعلوا بمن شُبِّه لهم، وبهذا لا يكون الله عزَّ وجل قد طهَّره منهم، ثم هل يستطيع هؤلاء الزاعمون لموت عيسى عليه السلام ودفنه أن يدلونا على واحدٍ ممَّن شهد جنازته أو تولَّى دفنه، بل الروايات التي تتحدَّث عن قتل عيسى عليه السلام وصلبه تملأ الأناجيل، وليس فيها رواية واحدة تقول بأنه مات ودفن.

وكم من متبادَرٍ من اللفظ دلَّت السُّنَّة على خلافه(٢):

فقد فهم الصحابة رضيَ الله عنهم من قول الله تعالى: **{الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُون}** [الأنعام: ٨٢] أنَّ المراد بالظلم في الآية المعصية؛ ولهذا قالوا للنبي صلّى الله عليه وسلّم: أيُّنا لم يظلم نفسَه؟، حتى بيَّن لهم النبي صلّى الله عليه وسلّم أنَّ المراد بالظلم هو الشرك.

وفهم الصحابة رضيَ الله عنهم أيضًا من قول النبي صلّى الله عليه وسلّم: "أتدرون ما المفلس؟" إنَّه الذي لا درهم له ولا متاع، فقال صلّى الله عليه وسلّم: "إنَّ المفلس من أُمَّتي يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته

(١) تفسير المنار، ٣/٢٦٠.

(٢) ينظر: فصل المقال، ص٥٥.

فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار"(١).

وأمَّا قوله بأنَّ المفسِّرين حوَّلوا الكلام عن ظاهره في تفسير الآية فخطأ بيِّنٌ واتهام للمحقِّقين الذين فسَّروا القرآن عن علمٍ وتوفيقٍ بين دلالة القرآن واللغة، وما وردت به الروايات الصحيحة لا عن جهلٍ وعدم إحاطةٍ بمعاني الألفاظ.

قال مجاهد (ت ١٠٤هـ) رحمه الله: "لا يحلُّ لأحدٍ يؤمن بالله واليوم الآخر الآخر أن يتكلَّم بكتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب"(٢).

وقال السمرقندي (ت ٣٧٥هـ) رحمه الله: "لا يجوز لأحدٍ أن يُفسِّر القرآن من ذات نفسه برأيه، ما لم يتعلَّم ويعرف وجوه اللغة وأحوال التنزيل"(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) رحمه الله: "... فإنَّ نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرضٌ واجب، فإنَّ فهم الكتاب والسُّنَّة فرض، ولا يُفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"(٤).

ولكن الشيخ محمد رشيد رضا نقل كلامًا عن شيخه محمد عبده، فقال: "وهاك ما قاله الأستاذ الإمام في ذلك: يقول بعض المفسِّرين: إنِّي "متوفيك" أي: منومك، وبعضهم: إني قابضك من الأرض بروحك وجسدك "ورافعك إليَّ" بيان لهذا التوفي، وبعضهم: إني أنجيك من هؤلاء المعتدين، فلا يتمكنون من قتلك، وأميتك حتف أنفك ثم أرفعك إليَّ، ونسب هذا القول إلى الجمهور، ونقل عن أستاذه أيضًا ... والطريقة الثانية أنَّ الآية على ظاهرها، وأن التوفي على معناه الظاهر المتبادر وهو الإماتة العادية، وأن الرفع يكون بعده وهو رفع الروح، ولا

(١) أخرجه مسلم، باب تحريم الظلم، ٤/١٩٩٧، رقم ٢٥٨١.
(٢) البرهان في علوم القرآن، ١/٢٩٢.
(٣) تفسير السمرقندي، ١/٧٢.
(٤) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ١/٥٢٧.

بدع في إطلاق الخطاب على شخصٍ وإرادة روحه، فإن الروح هي حقيقة الإنسان، والجسد كالثوب المستعار فإنه يزيد وينقص ويتغير، والإنسان إنسان؛ لأن روحه هي هي"(١).

وهذا كلامٌ فيه نظرٌ؛ لأنه ليس قول الجمهور، بل هو قولٌ غير معروف عند علماء السلف، فهم مجمعون على أنَّ عيسى عليه السلام رُفع حيًّا، حتى من فسَّر منهم التوفي بمعنى الإماته، قال: إن الله بعثه ثم رفعه، قال الحافظ ابن حجر: (ت ٨٥٢هـ) رحمه الله: "وأمَّا رفع عيسى فاتفق أصحاب الأخبار والتفسير على أنَّه رُفع ببدنه حيًّا"(٢).

وقال أيضًا في موضع آخر: إنَّ عيسى قد رُفع وهو حيٌّ على الصحيح(٣).

وأما قول محمد عبده عن الروح بأنها حقيقة الإنسان وما الجسد إلا ثوبٌ مستعار، ففيه نفسٌ صوفي وتأثر جلي، فلا يعهد في خطاب الشرع ذلك التجريد، فحين يخاطب الشخص إنما يخاطب بوصفه شخصًا لا روحًا، وإذا أُريد خطاب النفس وحدها وجه إليها الخطاب كقول الله تعالى: **{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّة، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّة}** [الفجر: ٢٧-٢٨]، وحين يقول: **{يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ}**، فإنه يعني عيسى عليه السلام كله، لا مجرد روحه(٤).

أما الصوفية ومن تبعهم فجعلوا الآدمي نصفين: نصف لاهوت وهو روحه، ونصف ناسوت وهو جسده، نصفه ربٌّ ونصفه عبد، وقد كفر الله النصارى بنحو من هذا القول في المسيح، فكيف بمن يعم ذلك في كل أحد؟ حتى في فرعون وهامان وقارون(٥).

---

(١) تفسير المنار، ٣/٢٦٠.

(٢) التلخيص الحبير، ٣/٤٣١.

(٣) فتح الباري، ١٠/١٢٤.

(٤) ينظر: فصل المقال، ص٥٨.

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى، ٤/٢٢٢.

ومعلوم لدى أهل السُّنَّة والجماعة وسائر سلف الأمة أنَّ الروح عينٌ قائمةٌ بنفسها تفارق البدن وتنعَّم وتعذَّب ليست هي البدن ولا جزءًا من أجزائه كالنفس المذكور [(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبيِّنًا حقيقة الروح ومسكنها من الجسد: "والصواب أنَّها ليست مركَّبةً من الجواهر المفردة ولا من المادة والصورة وليست من جنس الأجسام المتحيزات المشهودة المعهودة، وأمَّا الإشارة إليها فإنه يشار إليها وتصعد وتنزل وتخرج من البدن وتسل منه كما جاءت بذلك النصوص ودلَّت عليه الشواهد العقلية.

وأما قول القائل أين مسكنها من الجسد؟ فلا اختصاص للروح بشيءٍ من الجسد بل هي سارية في الجسد كما تسري الحياة التي هي عرض في جميع الجسد فإن الحياة مشروطة بالروح فإذا كانت الروح في الجسد كان فيه حياة وإذا فارقته الروح فارقته الحياة"[(٢)].

وقال تلميذه ابن القيم مبيِّنًا حقيقة الروح: "إنه جسمٌ مخالفٌ بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسمٌ نورانيٌّ علويٌّ خفيفٌ حيٌّ متحرِّك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكًا لهذه الأعضاء وأفادها هذه الآثار من الحسِّ والحركة الإرادية، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح، وهذا القول هو الصواب في المسألة وهو الذي لا يصح غيره، وكل الأقوال سواه باطلة، وعليه دلَّ الكتاب والسُّنَّة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة"[(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٤١/١٣، وينظر: الروح، ص١٧٧.

(٢) مجموع الفتاوى، ٣٠٢/٩.

(٣) الروح، ص٢١٥-٢١٦، وذكر ستة عشر دليلًا على ذلك، ص٢١٦-٢٣٥.

وأما طريقة محمد عبده وتلميذه الشيخ محمد رشيد رضا فقد خرقوا بها إجماع الأمة وضاهوا بها أقوال الملاحدة والفلاسفة في إنكار كل ما جاءت به السنن الصحيحة، ولم تكن حجتهم بذلك إلآ أنها أحاديث آحاد لا تصلح حجةً على معتقد، وبهذا يلغوا كل المعتقدات؛ لأنها لم ترد من طريق قطعي –كما يزعمون–[١]، فكم أساءت هذه المقولة الباطلة إلى الإسلام، وامتدَّت إلى إنكار قضايا عقدية تبلغ أدلتها حد التواتر، مثل: أحاديث نزول عيسى، وخروج الدجال، وطلوع الشمس من مغربها، وأحاديث المهدي، وغيرها مما يؤدي إنكاره إلى هدم عقيدة الإسلام من أساسها، بل بعضها تطابق في الدلالة عليها الكتاب والسُّنَّة، مثل: رؤية الله في الدار الآخرة[٢].

ولكن هذه الآحاديث التي وردت في عيسى عليه السلام وغيره، وإن كان بعض رواياتها من قبيل الآحاد فإنَّها قد رُويت عن عددٍ كبير من الصحابة رضيَ الله عنهم من طرق متعددة، فإذا جمع بعضها إلى بعض أفادت التواتر المعنوي، وهو يفيد القطع كالتواتر اللفظي[٣].

ولكنهم وجدوا أنفسهم وعقائدهم في مواجهة نصوص الكتاب والسُّنَّة فلجؤوا إلى التحريف والتأويل لنصوص الكتاب والمتواتر من السُّنَّة حتى تتفق هذه النصوص في زعمهم مع معتقداتهم الباطلة، ولجؤوا إلى وضع قواعد تدفع في نحور السنن أحيانًا، وتلوي أعناقها أحيانًا إلى حيث توافق أهواءهم واتجاهاتهم الضالة الباطلة.

**

(١) فصل المقال، ٥٧–٥٨.

(٢) ينظر: حجية خبر الآحاد في العقائد والأحكام، للشيخ ربيع بن هادي، ص٣.

(٣) ينظر: فصل المقال، ص٥٨.

الخاتمة

أحمد الله عزَّ وجل أن منَّ عليَّ بإتمام هذا البحث وتيسيره، وهذا ملخصٌ لأهم النتائج التي توصَّلت إليها بفضل الله عزَّ وجل .

١- أنَّ عيسى عليه السلام رُفع إلى السَّماء من غير وفاةٍ ولا نوم.

٢- أن معنى وفاته عليه السلام رفعه إلى السماء.

٣- أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان بين يدي الساعة حاكمًا بشريعة محمد صلّى الله عليه وسلّم، ثم يموت بعد ذلك.

٤- أنَّ جمهور الأمة على حياة عيسى عليه السلام ولا عبرة بمن خالفهم بدون دليل.

٥- يعتقد أهل السُّنَّة والجماعة أنَّ نزول عيسى عليه السلام من أشراط الساعة الكبرى.

٦- أنَّ أحاديث الآحاد إذا جُمع بعضها إلى بعض أفادت التواتر المعنوي، وهو يفيد القطع كالتواتر اللفظي، ومنها أحاديث نزول عيسى عليه السلام.

٧- أنكر بعض المعتزلة والجهمية ومن رأى رأيهم بقاء حياة عيسى عليه السلام ونزوله آخر الزمان.

٨- مُحال أن توزن أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة وخصائص الصفات الإلهية بالعقل، فمن فعل ذلك خاب وخسر.

٩- لا سبيل إلى تخصيص عموميات القرآن إلا بدليلٍ يجب الرجوع إليه من المخصصات المتصلة أو المنفصلة.

١٠- أنَّ الروح عينٌ قائمةٌ بنفسها تفارق البدن وتنعم وتُعذَّب، وليست هي البدن ولا جزءًا من أجزائه.

هذا، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين،،

فهرس المصادر والمراجع

أولًا: القرآن.

ثانيًا: الكتب.

١- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،** محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٦هـ.

٢- **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام،** أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة.

٣- **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم،** تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان.

٤- **إكمال المعلم بفوائد مسلم،** الإمام الحافظ أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، دار الوفاء، ط٣، ١٤١٦هـ.

٥- **البداية والنهاية،** عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٦- **البراهين الإنجيلية على أنَّ عيسى** عليه السلام **داخل في العبودية ولا حظَّ له في الألوهية،** محمد تقي الدين الهلالي، دار الثقافة، مكة المكرمة، الزاهر، ١٣٩٣هـ.

٧- **البرهان في علوم القرآن،** أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله ابن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبي وشركاؤه، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

٨- **بستان الهداة في اختلاف الأئمة والرواة في القراءات الثلاث عشرة واختيار اليزيدي**، تأليف أبي بكر بن الجندي المقرئ ، تحقيق ودراسة ، د. حسين بن محمد العواجي ، دار الزمان.

٩- **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**، أبو العباس، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة – مكة المكرمة، ط١، ١٣٩٢هـ.

١٠- **التجريد لنفع العبيد** = حاشية البجيرمي على شرح المنهج (منهج الطلاب اختصره زكريا الأنصاري من منهاج الطالبين للنووي ثم شرحه في شرح منهج الطلاب)، سليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ، مطبعة الحلبي، بدون طبعة، ١٣٦٩هـ – ١٩٥٠م.

١١- **تفسير السمرقندي**، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، دار الكتب العلمية، بدون طبعة.

١٢- **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين ابن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

١٣- **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد بن سلامة، دار طيبة ط٢، ١٤٢٠هـ.

١٤- **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: أبي عاصم حسن بن عباس بن قطب، مؤسسة قرطبة – مصر، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

١٥- **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع** ، للملطي ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٣٨٨هـ .

١٦- **تهذيب اللغة**، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

١٧- **جامع البيان في تأويل القرآن**، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

١٨- **الجامع الصحيح، (سنن الترمذي)**، أبو عيسى، محمد بن عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين.

١٩- **الجامع لأحكام القرآن** = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٢٠- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، دراسة وتحقيق: علي بن حسن بن ناصر الألمعي وغيره، دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

٢١- **حجية خبر الآحاد في العقائد والأحكام**، ربيع بن هادي بن عمير المدخلي، دار المنهاج، ط١، ١٤٢٦هـ

٢٢- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت.

٢٣- **سنن أبي داود**، أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

٢٤- **صحيح البخاري** (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه)، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٥- **صحيح مسلم،** أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٢٦- **عون المعبود شرح سنن أبي داود،** ومعه حاشية ابن القيم (تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته)، أبو عبد الرحمن، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ.

٢٧- **فتح القدير،** محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب-دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

٢٨- **الفرق بين الفرق** ، للبغدادي ، عناية: إبراهيم رمضان ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .

٢٩- **فصل المقال في نزول عيسى** عليه السلام **وقتله الدَّجَّال،** د. محمد خليل هراس، تحقيق وتعليق: أبي الفداء السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم الأثري، بدون طبعة.

٣٠- **كتاب الشريعة،** أبو بكر محمد بن الحسين الآجري ، دار الدليل الأثرية، ط١، ١٤٢٨هـ.

٣١- **المبهج في القراءات الثمان وقراءة الأعمش وابن مُحيصن واختيار خلف واليزيدي،** محمد عبد الله بن علي بن أحمد بن عبد الله المعروف بسبط الخياط ، دار ابن حزم .

٣٢- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،** أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة.

٣٣- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،** أبو محمد عبد الحق ابن غالب ابن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ.

٣٤- **المستدرك على الصحيحين،** أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٣٥- **مسند أحمد بن حنبل،** أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: السيد أبي المعاطي النوري، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ. ١٩٩٨م.

٣٦- **مسند الإمام أحمد بن حنبل،** أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ.

٣٧- **مشكاة المصابيح،** الشيخ ولي الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي مع شرحه مرقاة المفاتيح للشيخ أبي الحسن عبيد الله بن العلامة محمد عبد السلام المباركفوري حفظه الله.

٣٨- **المصنف في الأحاديث والآثار،** أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، مكتبة الرشد-الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت.

٣٩- **معالم السنن،** وهو شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، المطبعة العلمية – حلب، ط١، ١٣٥١هـ – ١٩٣٢م.

٤٠- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين** ، علي بن إسماعيل الأشعري ، أبو الحسن ، ط٣ ، دار إحياء التراث.

٤١- **الملل والنحل** ، للشهرستاني، تحقيق: عبد العزيز الوكيل، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، د. ت .

٤٢- **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة،** الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة : د. مانع بن حماد الجهني ، الناشر دار الندوة ، ط٥/ ١٤٢٥هـ.

٤٣- **نزول عيسى ابن مريم آخر الزمان،** الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار ابن خلدون، تحقيق: سعد كريم الدرعمي، الإسكندرية، بدون طبعة.

٤٤- **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى،** لابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، دار عالم الفوائد، تحقيق: عثمان جمعة ضُميرية، ط١، ١٤٢٩هـ.

* * *